

تقرير

عن برامج التعليم في المدارس المصرية

(٢)

أهمية دور الطفولة في التربية

يولد الطفل وكل عدته العقلية هي مجموعة ميول واستعدادات ورثها عن آباؤه ، وليس في عقله أية فكرة عن البيئة الخارجية . وكل ما يدخل الى عقله انما يدخل من طريق الحواس^(١) . فالصور الحسية التي تصل الى العقل هي مواد البناء التي تبني منها كل الحياة العقلية . لأن العقل ليس من شأنه خلق الافكار أو الصور ، بل كل ما يستطيعه هو حفظ الصور التي دخلت اليه من طريق الحواس ، وموازنة بعضها ببعض ، وتنظيمها في مجموعات ، والاستنباط منها ، وترتيبها في أشكال غير التي دخلت عليها فتتكون منها أخيلة جديدة ، وإذن فكل فكرة ينتجها العقل لا بد أن تتولد في الأصل من الصور الحسية الموجودة فيه . وبقدر وفرة هذه الصور الحسية ودقتها يكون اتساع مجال الحياة العقلية للإنسان ودقتها . ولذا كان من الأمور الهامة في التربية مساعدة الطفل على جمع أكبر مقدار ممكن من الصور الحسية النافعة . وعهد الطفولة هو العهد الذي أعدته الطبيعة الانسانية لذلك . وإن اغفال

(١) راجع كتاب "The Teacher's Handbook of Psychology" -by

Professor Sully : p. p. 90-93, p. p. 197-198, p.p. 253-254 etc etc.

هذه القاعدة لهُو هدم للتربية من أساسها
يقول الاستاذ « سكي »^(١) : « إن من النتائج الجليلة القيمة التي
أنتجتها تعاليم التربية الحديثة أنه من العبث أن يحاول المدرس الاندفاع
بالطفل في ميدان الدراسة النظرية من ناحية وغيرها . وإن تهذيب
الفهم يجب أن يبدأ بتدريب الطفل تدريباً منظماً على الملاحظة بالحواس .
وأن الوقت الذي يُخصص لهذا القسم الأساسي من الأعمال المدرسية
يعوضه ، وزيادة ، ما يكسبه الطفل من المواد العقلية التي ادخرها .
فهذه المواد الأساسية تزيد في سرعة كل العمليات الفكرية الراقية
وتجعل نتائجها أعم وأكثر قيمة »

برنامج التعليم الابتدائي

ولنتقل الآن الى برنامج المدرسة الابتدائية . فإذا نرى ؟ نرى
المنظر بعينه : فليس التعليم الابتدائي إلا نظاماً للرياض العقلية كالتعليم
الأولى سواء بسواء : يكثرون في تحفيظ الولد ألفاظاً . ويظنون أنه
يكتسب معارف . والولد لا يستطيع إدراك المعاني التي وراء ألفاظهم
لأنها لا تناسب الحالة العقلية التي وصل إليها

أنظر الى تعليمهم لموضوع من ألد الموضوعات ، وأقربها الى
متناول الطفل : وهو علم الجغرافية . أي تلميذ يستطيع وهو في سن
السابعة أو الثامنة أن يفهم التعاريف التي يشحنون بها ذاكرته ؛ القارة ،

والمملكة ، والجمهورية ، والمستعمرة ، والفضبة ، والواحة ، وخط تقسيم المياه ، والأدلة على كروية الأرض ؛ هذه هي المعاني التي يحاولون ادخالها الى عقل الطفل في السنة الأولى أو الثانية الابتدائية !! ثم يتبعونها ، أو يصحبونها ، بسلاسل أسماء لبلدان وقارات ، وخليجان ومحيطات في الطرف الآخر من المعمورة . فلمَ كل هذا ؟ لمَ لا يدرس الولد البيئة المحيطة به مباشرة ؟ لمَ لا يدرس الشارع الذي يوصل الى مدرسته ، والبلدة التي يقطنها ، والترعة التي تروى مزارع والده ، والتل الذي لا يبعد عنه مسير نصف ساعة ، والنهر الذي يشرب منه ، وحالة القوم الذين يعيش في وسطهم ؟

ثم أنظر الى تعليم الهندسة ، وهي اذا عامت بطريقة مناسبة للطفل لا تقل لذة وفائدة عن الجغرافية . ولكنها في مدارسنا كابوس ثقيل ، لأن التلميذ لا يخرج في دراستها عن النقط والخطوط ، وهي أشياء معنوية لا يستطيع إدراكها في ذلك الدور من أدوار حياته العقلية . ولو أنه بدأ من أول حياته المدرسية بدراسة الأجسام الهندسية التي يقع نظره عليها لكان للهندسة شأن آخر

ويظهر أن وضع البرنامج الابتدائي بني على خطأ عام : وهو الاعتقاد بأن الترتيب المنطقي الذي يوضع عليه العلم بعد اتمام دراسته هو الترتيب الذي يجب أن يراعى في تعليمه للطفل . فتبدأ دراسة كل علم بالتعاريف الأولية . ولكن هذا منافٍ لقوانين علم النفس . وإن الفكرة الأولية منطقياً ، كالنقطة في الهندسة ، لا يتوصل اليها

العقل إلا بعد سلسلة عمليات صعبة تنتهي بالاستخلاص (abstraction). وهذا هو آخر مظهر من مظاهر الحياة الفكرية ، ولا يسهل على التلميذ إلا في ذور الفتوة . فدراسة التعاريف الأولية في سن مبكرة لا تناسب الحالة العقلية للولد

بعد هذا ننظر الى دراسة الحساب ، وهو العلم الذي يقولون عنه عادة أنه « عقلي » ولست أدري معنى هذا اللفظ في عرفهم . على أنهم إن كانوا يقصدون به أن التلميذ يستعمل في دراسة الحساب عقله في مدارسنا ، فلا بد أن يكون معنى العقل ضيقاً في نظرهم ، لا يكاد يتعدى الذاكرة . إذ لا يلبث الولد أن يدخل المدرسة حتى يعاموه العد الى الألوف والملايين ، وهي فوق تصوره ، ثم الجمع والطرح ، ثم يحفظوه جدول الضرب . وهو لا يدرك لكل هذا معنى سوى أنها عمليات تعمل على الرموز الحسابية المعنوية . وعلى هذا الشكل تدرس الكشور ، فالنسبة والتناسب وماشا كلها . ولا يفرنا ما قد يدخله بعض المدرسين الحديثين في دروسهم من وسائل الايضاح الحسية . فان الأمر لا يكفي فيه رسم أو حزمة من أعواد الكبريت يعرضها المدرس على تلاميذه بين آن وآخر ليوضح به قاعدة خاصة . بل يجب أن يكون أساس تعليم الحساب دراسة عملية مبنية على القياس تستغرق السنين الاولين من حياة التلميذ المدرسية في المدرسة الابتدائية . وفي خلالها يتعلم التلميذ بطبيعة الحال العمليات الحسابية الأولية

ننتقل الى دراسة اللغة العربية ، وهي أداة هامة لتوسيع ميول

الطفل ، والانتقال به تدريجاً من دائرة المحسوسات الى دائرة المعنويات ،
ومن تجاربه الخاصة الى الذخر العام لقومه . أليس المعقول أن تبدأ
دراستها من هذه التجارب الشخصية وتلك الامور الحسية التي هي كل
عدته ؟ أليس الواجب علينا متى تعلم القراءة والكتابة أن ننقل به الى
مطالعة موضوعات ترتبط بالبيئة التي يعيش فيها ويفهمها والى حفظ
قطع سهلة يجد فيها الغذاء المناسب لخياله المشتعل ، والى التدرب على
التعبير عن مقاصده العادية بسهولة ؟ . نعم هذا هو الواجب ، فما هو
الواقع ؟ الواقع أن جل الأهتمام في دراسة اللغة العربية يوجه الى تعليم
الولد قواعد نحوية هي فوق مداركه لأنها مبنية على الاستخلاص
(abstraction) وتحفيظه قطعاً منظومة ومنشورة ليس فيها الا حكم جافة
لا يستطيع عقله اهتضامها ، والى مطالبته بالكتابة في موضوعات
نظرية فلسفية ، بعيدة عن ادراكه وعن ميوله وعن حاجات البيئة التي
يعيش فيها . والنتيجة أن الولد يكره دراسة اللغة وعلومها ، ثم انه لبعد
الموضوعات التي يدرسها عن عقله يكتفى بالالفاظ فيحفظها ، ويتبادلها
معامه كتابة أو شفاهاً ، والمعلم يظن أن الولد متى كرر أمامه قاعدة نحوية
عويصة ، أو حكمة من حكم البلغاء ، وفسرها بالفاظ غير الفاظها ، فهو
يعي ما فيها

(يتبع)

اسماعيل محمود القباني

المدرس بمدرسة اسبوط الثانوية